العرب
الإثنين 2020/01/27
السنة 42 العدد 11599

هكذا يشبه كاتب القصة لاعب كرة القدم

سفيان رجب في «أهل الكتاب الأحمر» يقول الأكثر بأقل ما يمكن

لا تختلف القصة القصيرة كثيرا عن الشعر، لا من حيث بنيتها أو تشكّلها بل من حيث اعتمادها على التكثيف، ولو بدرجة أقل، كما أن كل قصة هي طلقة واحدة، تماما مثل القصيدة، طلقة لا تحتاج إلا إلى نفسها لتجديد زخمها مع كل قارئ، تنتهي بسرعة، لكن أثرها يظل باقيا يحفر عميقا في الفكر والذائقة. ولذا ليس غريبا على الكثير من الشعراء أن يكتبوا قصصا قصيرة ببراعة كبيرة.

حسونة المصباحي
كاتب تونسي

يمكن القول إن سفيان رجب هو راهنا من بين ألمع الأسماء الجديدة في الأدب التونسي الحديث، ومن أغزرها إنتاجا، وأكثرها حضورا في الجدل الذي يدور حول مختلف القضايا الثقافية والفنية.

في البداية أصدر رجب مجموعتين شعريتين عكستا موهبته وحذقه في كتابة قصيدة النثر، لكنه سرعان ما تخلى عن الشعر ليصدر رواية بعنوان "القرد الليبيرالي"، ومجموعة قصصية بعنوان "الساعة الأخيرة".

وقد لاقت الرواية اهتماما لافتا للانتباه من قبل النقاد والقراء داخل تونس وخارجها. أما المجموعة القصصية فقد كانت ضمن القائمة القصيرة في الدورة الأخيرة لجائزة الملتقى للقصة القصيرة التي تنظمها سنويا الجامعة الأميركية بالكويت.

> «أهل الكتاب الأحمر» يعالج العديد من القضايا السياسية والاجتماعية والنفسية وغيرها من دون أن يثقل على القارئ

وبكل ما أسلفنا يكون سفيان رجب قد قدم الدليل القاطع على أنه بارع في كتابة النثر كما كان بارعا في كتابة الشعر. وما يمكن قوله أيضا هو أنه أثبت من خلال الأعمال الشعرية والنثرية التي أصدرها إلى حد هذه الساعة أنه قارئ جيد للأدب العالمي، وأنه متابع نبيه لكل ما هو جديد سواء على المستوى العربي أو العالمي لا شعرا ونثرا فقط، بل وفي مجال السينما والموسيقى والفنون التشكيلية أيضا لتكون له مراجع ثرية نادرة عند أبناء جيله من أصحاب "الوجبات الثقافية السريعة".

وبما أنه لم يسافر إلا قليلا خارج تونس، فإنه لجأ إلى خياله لينعم برحلات رائعة في جميع أنحاء العالم من خلال الكتب والأفلام، وأيضا من خلال كل ما تتيحه له وسائل الاتصال الحديثة. وهذا ما تعكسه مجموعته القصصية الأخيرة التي جاءت بعنوان "أهل الكتاب الأحمر"، وصدرت منذ أسابيع قليلة في تونس.

اللعب بالكلمات

لقد ذكرتني قصص مجموعة "أهل الكتاب الأحمر"، الصادرة أخيرا عن دار "زينب للنشر"، بالكاتب الأميركي اللاتيني إدواردو غاليانو الذي كان يقول إنه "يكتب مثل لاعب كرة القدم الذي يمرر طوال القصة الكلمات كالكرة لكي ينهي عمله بهدف جميل". وبالفعل فإن سفيان رجب في جل قصص مجموعته المذكورة يظل يمرر الكلمات، ويلعب بها، ويقذف بها في اتجاهات مختلفة لكي يصل بالقارئ في النهاية إلى ما هو مدهش وغير متوقع. والكلمات عند سفيان رجب تبدو طيعة مثلما تكون الكرة بالنسبة للاعب الحاذق. فهي منصاعة ومطيعة له بحيث لا تقدر على الإفلات منه أبدا، متجنبا كل ما يثقل ويغلظ منها، مروضا إياها لكي يجعل القارئ منجذبا ومشدودا إلى قصته من بدايتها إلى نهايتها.

كما ذكرتني قصص مجموعة سفيان رجب الأخيرة بغاليانو الذي كان يقول "أحاول أن أقول الأكثر بالأقل لأن الأقل هو الأكثر". وبالفعل يعالج سفيان رجب في "أهل الكتاب الأحمر" العديد من القضايا السياسية والاجتماعية والنفسية وغيرها من دون أن يثقل على القارئ بالمواعظ الرتيبة، والخطب الطويلة المملة. بل هو يلجأ إلى السخرية المرة، وإلى الدعابة السوداء تماما مثلما كان يفعل غاليانو، محرضا القارئ على أن يمضي معه حتى النهاية فلا يترك الكتاب إلا بعد أن يكون قد أتى عليه من الدفة إلى الدفة. وهذا ما حدث لي شخصيا وأنا مسافر بالطائرة من تونس إلى مراكش في أول يوم من العام الحالي.

بأقل ما يمكن

في النص الأول يسخر سفيان رجب من الذين سمّاهم وفق إصاباتهم كل منهم بـ"متلازمة"، وجميع هؤلاء مصابون بأمراض وعاهات مختلفة، مثل "متلازمة تشي غيفارا". وهم في غالبيتهم مصابون بـ"ضمور في الشخصية"، ومتلازمة "فئران الكتب الحمراء". وهم يعشقون اللحى والشعور الطويلة. وهناك "متلازمة باطمان". وهم من سكان الأحياء الشعبية، وجلهم من الشبان الأميين الذين "لم يفتحوا كتابا واحدا في حياتهم". والواحد منهم "يمشي مثل الديكة الآسيوية متخيلا نفسه أنه الفحل البشري الأخير في كوكب الأرض". وأما "متلازمة بوكوفسكي"، الكاتب الأميركي الصعلوك، فهم "يدعون البوهيمية"، وهم يشربون دائما ولا يدفعون، زاعمين أن الفنان مفلس طوال حياته؟ لذا يحق له أن يتمعش من مال الآخرين.

ومثل إدواردو غاليانو، يخيّر سفيان رجب أن ينطلق من حياة الناس اليومية في غدوهم ورواحهم لتكون مادة خصبة لقصصه التي قد لا تتجاوز أحيانا الصفحة الواحدة، أو أقل من ذلك مثلما هو الحال في قصة "الجندي الوحيد الذي لم يشارك في المذبحة والتي يروي فيها قصة جيش تركي التقى بجيش أرمني في سفح جبل أرارات. وقد أسفرت المعركة الطاحنة بينهما عن مئات الآلاف من القتلى من الجانب الأرمني. أما الجيش التركي فقد خسر قتيلا واحدا يدعى ناظم حكمت. وهذا القتيل لم يشارك في المعركة، بل كان يراقبها من بعيد، وتحديدا من "ثقب التاريخ الرسمي لتركيا الحديثة".

في مجموعة "أهل الكتاب الأحمر" العديد من القصص التي تعكس أوضاع تونس الاجتماعية والسياسية بعد انهيار نظام بن علي، وما اتسمت به من فوضى، ومن همجية، ومن عنف، ومن تمدد أصولي، ومن تجارة بالدين، ومن انتهازية لدى أشباه المثقفين، ومن شعوذة سياسية يحاول أصحابها أن يقنعوا الناس بأنهم قادرون على أن يوفروا لهم الجنة على الأرض، وفي العالم الآخر أيضا. وكل هذا يقوله سفيان رجب بـ"أقل ما يمكن"، ومن دون بلاغة جوفاء، أو شعارات فضفاضة.

شخصيات تمحو الحدود بين الواقع والخيال (لوحة للفنان محمد الحامدي)

التراث الشعبي هو المادة الخام للمسرح

حازم خالد

القاهرة – في كتابه "التراث الشعبي في المسرح المصري" يقدم الناقد محمد أمين عبدالصمد دراسته لمجموعة من الأعمال الإبداعية الأدبية التي تُعتبر موضوعا من موضوعات الأنثروبولوجيا الثقافية، وخاصة في مجالات اللغة والرمز والنظم التي تتضمن الدلالة، وهو ما يعرف "بأنثروبولوجيا الأدب".

ويعتبر الكاتب أن بعض المتخصصين يتعاملون مع المنتج الأدبي على أنه أداة اتصال جماهيري، لأن الفرد هو الأساس وهو ابن مجتمعه، وقد خضع لعملية غرس ثقافي شكلت طبعه ووجدانه، دون مصادرة دوره في إعادة الإنتاج، ومحاولته التنفيس عن المسكوت عنه. وكذلك تعتبر الأعمال الأدبية وثيقة لمرحلة تاريخية محددة، تؤرخ لها اجتماعيا وسياسيا.

وانطلاقا مما سبق يكشف الكاتب كيف ارتبط المسرح بالتراث الشعبي منذ القدم ارتباطا عضويا، وظهر هذا جليا في كتابات الكثير من المسرحيين على اختلاف ثقافاتهم وتباين حضاراتهم وتباعدها المكاني والزماني. فاليونانيون آباء المسرح التقليدي الراسخ والمستمر حتى الآن نهلوا من أساطيرهم وحكاياتهم الشعبية جل مسرحياتهم، وقدموها لتصبح في ما بعد تراثا إبداعيا إنسانيا يحاكى ويقدم رغم مرور عشرات القرون على إنتاجه وتقديمه.

وجاء الرومان بعدهم فلم يبتعدوا عن رؤية اليونانيين للتراث، وجاء أساطين كتابة المسرح في العهود اللاحقة بذات التوجه في التعامل مع التراث بكافة صوره فنهلوا من تراثهم القصصي والتاريخي، واستلهموا أعمالا مسرحية من متنه وروحه، والمثال الأشهر لذلك وليم شكسبير الذي نهل من ملفات هولنشيد للحكايات الشعبية وقدم العديد من المسرحيات التي تباينت في تعاملها مع التراث الشعبي القصصي الأوروبي، كما قدم التراث التاريخي مثل مسرحيات: ريتشارد الثالث ويوليوس قيصر، وهنري الرابع.

ثم يتوقف الباحث أمام الكتاب المسرحيين المصريين، ويكشف أن الرجوع إلى التراثين الشعبي والتاريخي والاستلهام منهما بادي الوضوح على مر فترات تاريخ المسرح المصري، فالشاعر أحمد شوقي قد رجع واستلهم من التراث الأدبي العربي وقدم مجنون ليلى وعنترة، ومن التراث التاريخي علي بك الكبير، وقدم مسرحيته أميرة الأندلس، وهي الأكثر نضجا كما يرى المؤلف في التعامل مع التراث، وكان منهج شوقي في مسرحياته هو الاستغراق في التراث والنسج على منواله بجمالياته ومواقفه، إلا أن الباحث يستثني من هذا مسرحية أميرة الأندلس.

وفي مرحلة لاحقة جاءت تجربة توفيق الحكيم الذي كان أكثر وعيا في التعامل مع التراث فاستلهم عددا من مسرحياته من التراث العربي، وبعضها من التراث العالمي، بل واستلهم من التراث الديني مسرحيته "أهل الكهف" وهي مأخوذة من قصة فتية الكهف التي وردت في القرآن الكريم، ولم ينشغل الحكيم في مسرحيته تلك بمعجزة نوم الفتية لما يزيد عن 300 سنة ثم عودتهم، ولكن شغله خطاب آخر استخلصه وقدمه هو في عمله المسرحي، خطاب ناتج عن وعي متقدم في التعامل مع التراث وتحميله مضامين يرتئيها المبدع المؤلف.

يقول الناقد "استمرت رحلة التعامل مع التراث مسرحيا وبرزت أسماء كثيرة على مدار حركة التاريخ المسرحي المصري منها توفيق الحكيم، نجيب سرور، شوقي عبدالحكيم، ألفريد فرج، محمود دياب، يسري الجندي، محمد أبوالعلا السلاموني.... وغيرهم ممن لا تتسع تلك الصفحات لحصرهم، ومنهم من تعامل مع التراث الشعبي، ومنهم من تعامل مع التراث القصصي العربي، ومنهم من وجد في التراث التاريخي غايته، ومنهم من تعامل مع الشكل المسرحي وبحث عن جذور تراثية له... كثيرون وكثيرون، يعكسون حيوية المسرح المصري".

ويرى عبدالصمد أن التعامل مع التراث في منابعه المتعددة كان مؤشرا دائما إلى الحالة الثقافية والاجتماعية والسياسية المصرية، وأسئلة الهوية ومدى إلحاحها وأهميتها، أو إهمالها والتغاضي عنها، بين مرحلة وأخرى وهو ما استمر حتى تاريخه.

الجدير بالذكر أن كتاب "التراث الشعبي في المسرح المصري" لمؤلفه محمد أمين عبدالصمد، صدر مؤخرا عن الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة.

توفيق الحكيم وظف التراث في المسرح

أديبان في سجن واحد

ميلانو (إيطاليا) – صدرت أخيرا الترجمة العربية لكتاب "ثلاث سنوات ونصف مع ناظم حكمت" للكاتب والروائي التركي أورهان كمال، ترجمها عن التركية أحمد زكريا وملاك دينيز أوزدمير.

ويقدم الكتاب مذكرات كل من الشاعر ناظم حكمت والروائي أورهان كمال في سجن بورصة ومراسلاتهما التي تلتها.

ويعد هذا الكتاب، الصادر حديثا عن منشورات المتوسط –إيطاليا، في الأدب التركي اليوم من بين أهم الوثائق عن ناظم حكمت، حيث يتناول رؤيته للشعر، والرسم الذي كان يمارسه في السجن أيضا، والفن بشكل عام. بالإضافة إلى تناوله للعديد من الجوانب الشخصية في حياة شاعر تركيا الأكبر. وقد أضاف إيشيق أووتشو ابن أورهان كمال على هذا الكتاب بعد ذلك مذكرات والده في السجن، كما أرسل إليه محمد فؤاد ابن ناظم حكمت قسما من المراسلات بين أورهان وناظم، وألحقت المراسلات بالكتاب أيضا.

> الكتاب يتضمن مذكرات ومراسلات كل من أورهان كمال وناظم حكمت ما يمثل وثيقة أدبية وتاريخية كاشفة

وحسب ما جاء، كذلك، في مقدمة المترجمَيْن، فإنه "في أثناء تأدية الروائي التركي أورهان كمال الخدمة العسكرية، وتحديدا في عام 1938، تم القبض عليه بسبب نشاطه السياسي، والعثور على أحد دواوين الشاعر ناظم حكمت المحظورة حينها في حقيبته، وحكم عليه بالسجن خمس سنوات.

وخلال الفترة الأولى، تنقل أورهان كمال ما بين سجني قيصري وأضنة، حتى استقر أخيرا في سجن بورصة عام 1940. وفي العام نفسه، حدثت صدفة غيرت حياة أورهان كمال بالكامل، حيث نقل شاعر تركيا الأكبر ناظم حكمت من سجن تشانكيري لأسباب صحية إلى سجن بورصة، وهكذا بدأت صداقة الشاعر بأورهان كمال الذي كان شاعرا أيضا حتى ذلك الوقت. وأصبح اسمان من أكبر الأسماء الأدبية التركية يتشاركان عنبرا واحدا، العنبر 52".

وجاء الكتاب في 176 صفحة من القطع الوسط، ويعد واحدا من أبرز الآثار الأدبية التركية في العصر الحديث، بتناوله حياة اثنين من كبار الأدباء الأتراك أثناء إقامتهما معا في السجن، ويوثق الكتاب هذه المرحلة وما بعدها في سرد شيق.

ونذكر أن أورهان كمال (1914–1970) واسمه الحقيقي محمد رشيد أوكوتجو دخل الحياة الأدبية بكتابة الشعر في الصحف والمجلات، قبل أن يتحول إلى كتابة الرواية، وذلك بعد سنوات سجنه، والتي قضى من بينها ثلاث سنوات ونصف مع ناظم حكمت، وهو من نصحه بأن يترك الشعر ويكتب الرواية.